

# علاقة البيان والتبيين بين القرآن الكريم والحديث النبوي

(مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية. توجد موافقة بتاريخ 2017/4/25).

د. خالد خليل علوان \*

د. عودة عبد الله \*\*

---

\* أستاذ مساعد - قسم أصول الدين - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين

\*\* أستاذ مشارك - قسم أصول الدين - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين

## علاقة البيان والتبيين بين القرآن الكريم والحديث النبوي

(د. خالد علوان - د. عودة عبد الله)

### ملخص البحث

نظراً للأهمية البالغة لعلم الحديث ومكانته بين العلوم الشرعية الأخرى، فقد جاء هذا البحث ليوقف وقفة متأنية في محاولة لسبر غور العلاقة الماثلة بين علمي الحديث والتفسير، لأن العلاقة بينهما وثيقة جداً بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر، وذلك لما للحديث الشريف من أهمية في التفسير القرآني، ودور في حماية معاني القرآن الكريم من التحريف، وتنقية التفسير من الإسرائيليات والروايات المدسوسة.

وقد ظهر من خلال هذا البحث، أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع معالم وقواعد مهمة للتفسير، تشكل منهجاً واضحاً في التفسير القرآني، لأن كلاً من القرآن والسنة يبين أحدهما الآخر ويفسره، مما يثبت الصلة الوثيقة بين التفسير والحديث.

الكلمات الدالة: الحديث، التفسير، علوم القرآن، علوم الحديث

## **The relationship between the Science of Hadith and the science of Tafsir**

### **Abstract**

Considering the great importance of the science of Hadith and its position among the other revealed sciences, this research has come to carefully clarify and shed light on the relationship between the science of Tafsir and science of Hdith, for the reason that the relationship between them is very authentic and they cannot be separated from one another, as the science of Hadith posses a great value in the Qur'anic interpretation, and play a significant role in the protection of the Holy Quran from distortion, and the Tafsir from the fabrication. This research has revealed that the Prophet, peace be upon him set rules for the Tafsir which represent a clear approach to Qur'anic interpretation, because both the Quran and Sunnah explain one another, demonstrating the close relationship between the sciences of Tafsit and Hadith.

**Key words:** Hadith, Tafsir, science of Qur'an, sience of Hadith

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ...

لا شك بأن علم الحديث من أجلّ العلوم وأهمها، وهو من أكثر علوم الدين تعلقاً بغيره من العلوم، لأن جميع علوم الدين من تفسير وعقيدة وفقه وسلوك تقوم جميعها على النقل والرواية، وهذه الرواية لا يمكن ضبطها وتحققها إلا من خلال علم الحديث. لأن "المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب ونحو غير العرب، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك، فلكل علم رجال يعرفون به، والعلماء بالحديث أجلّ هؤلاء قدراً، وأعظمهم صدقاً، وأعلاهم منزلة، وأكثر ديناً. وهم من أعظم الناس صدقاً وأمانة، وعلماً وخبرة، فيما يذكرونه عن الجرح والتعديل"<sup>1</sup>.

ومن هنا فقد شكل علم الحديث المحور الذي تدور حوله كل العلوم الشرعية، لأنه يشكل منهجاً نقدياً يتناول الروايات التي تعتمد عليها هذه العلوم، فما أقره وصححه فهو الصحيح المقبول، وما أنكره وضعفه فهو الضعيف المردود.

أما هذا البحث فإنه يتناول العلاقة بين علم الحديث وعلم التفسير، في محاولة لتسليط الضوء على أهمية علم الحديث بالنسبة لعلم التفسير، وبيان مدى الترابط بينهما، وأنه لا انفكاك لأحدهما عن الآخر.

وقد جاء هذا البحث إضافة إلى المقدمة والخاتمة في ثلاثة مباحث، هي:

---

1 تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ - 1986م)، ط 1، ج 7: ص 34.

المبحث الأول: دور علم الحديث في تفسير القرآن الكريم

المبحث الثاني: العلاقة بين القرآن والسنة من حيث البيان والتبيين

المبحث الثالث: معالم منهجية في دور علم الحديث في التفسير

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا علماً نافعاً، وأن يزيح عنا ظلام الجهل بنور المعرفة، إنه هو العليم

الحكيم. ونسأله تعالى أن يكون هذا البحث في ميزان حسناتنا يوم نلقاه، وأن يكون فيه الفائدة المرجوة.

## المبحث الأول

### دور علم الحديث في تفسير القرآن الكريم

لعلم الحديث دورٌ مهمٌّ في تفسير القرآن الكريم، وتجليه معانيه، وتنقيتها من التحريف والتبديل.

#### أولاً: أهمية علم الحديث في تفسير القرآن الكريم

لا شك بأن تفسير القرآن الكريم بالحديث الشريف، هو من أحسن طرق التفسير القرآني، ويأتي في المرتبة الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن، لأن وظيفة الحديث الشريف هي تفسير القرآن الكريم والكشف عن معانيه وأسراره وأحكامه، قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ))<sup>2</sup>، فقد "أنزل الله القرآن الكريم هداية للناس في أمور دينهم ودنياهم ولكن بأسلوب إجمالي في الغالب لا يمكن الوقوف منه على مراد الله عز وجل بطريق الوضوح، وقد وكل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغ القرآن الكريم للناس وأن يبين لهم بقوله وفعله ما يحتاج إلى البيان"<sup>3</sup>.

قال ابن كثير: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى: ((إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين

2 النحل: 44

3 محمد محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ)، ص 37-38.

الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً))<sup>4</sup> ... ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"<sup>5</sup>. يعني: السنة"<sup>6</sup>.

وتظهر أهمية علم الحديث بالنسبة لتفسير القرآن على وجه الخصوص عندما نعلم بأن كتب التفسير تزخر بالروايات الحديثية التي أوردها المفسرون في تفسير الآيات واستنباط الأحكام، وهذا أمر بائن الوضوح في جميع كتب التفسير بالمأثور، كما نلاحظه في جامع البيان للطبري، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير. وكذلك الأمر في معظم كتب التفسير بالرأي، وإن كان بصورة أقل، كما نلاحظه في التفسير الكبير للرازي، والكشاف للزمخشري، وروح المعاني للألوسي، وغيرها من كتب التفسير القديمة والحديثة، على اختلاف مناهج أصحابها.

فمثل هذه الروايات تحتاج إلى وقفة نقدية لبيان الصحيح فيها من السقيم، بهدف تنقية التفسير مما شابه من الدخيل، ليعود إليه جماله وبهاؤه، الذي شوّهه هذا الكم الهائل من الروايات الضعيفة والمدسوسة، وخير ما يعين على ذلك هو علم الحديث، فبدون هذا العلم يختلط الصحيح بالسقيم والحابل بالنابل.

### ثانياً: دور علم الحديث في حماية معاني القرآن من التحريف

من المعلوم أنّ أهل البدع والضلال والزندقة ممن يظهرون الإسلام، لا يهاجمون القرآن صراحة، وإنّما يهاجمون السنة النبوية، ومنهم من ينكرها صراحة، وسرّاً ذلك أنّ السنة النبوية تقف حائلاً في وجوههم، فلا

4 النساء : 105

5 رواه أبو داود. انظر: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية)، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج4: ص200، رقم الحديث (4604). صححه الألباني. انظر: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي)، ج1: ص516، رقم الحديث (2641).

6 إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، 1420هـ - 1999م)، ط 2، ج1: ص7.

يستطيعون تأويل القرآن وفق أهوائهم. وهذا ما يعبر عنه محمد أسد بقوله: "ولكي يستطيع نقّدة الحديث المزيفون أن يبرروا قصورهم وقصور بيئتهم، فإنهم يحاولون أن يزيلوا ضرورة اتباع السنة، لأنهم إذا فعلوا ذلك كان بإمكانهم حينئذ أن يتأولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاؤون، على أوجه من التفكير السطحي، أي حسب ميول كل واحد منهم، وحسب طريقة تفكيره هو"<sup>7</sup>.

وأهل الحديث في ذلك ينطبق عليهم ما ورد في الحديث الذي رواه البيهقي وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُوْلُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْعَالِينَ"<sup>8</sup>. فعلم الحديث يشكل حصناً منيعاً يحمي معاني القرآن الكريم من التحريف الذي يأتي عن طريق الغلو والتنتعج، والتكذب عن الوسطية التي تميز بها هذا الدين، وعن السماحة التي وصفت بها هذه الملة الحنيفية، وعن اليسر الذي اتسمت به التكاليف في هذه الشريعة. كما يحمي النص القرآني من سوء التّأويل الذي به تشوه حقيقة الإسلام، ويحرف فيه الكلم عن مواضعه، وتنتقص فيه أطراف الإسلام، فيخرج من أحكامه وتعاليمه ما هو من صلبه، كما حاول أهل الباطل أن يدخلوا فيه ما ليس منه، أو يؤخروا ما حقه أن يقدم، أو يقدموا ما حقه أن يؤخر<sup>9</sup>.

---

7 محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، (بيروت: دار العلم للملايين)، ط1، ص: 98. وانظر: عماد السيد محمد إسماعيل الشريبي، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، (1422 هـ - 2002م)، ط1، ص 8 أخرجه الآجري في الشريعة، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في السنن الكبرى، وصححه الألباني. انظر: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجزبي، الشريعة، تحقيق: عبد الله الدميجي، (الرياض: دار الوطن، 1420هـ-1999م)، ط2، ج1: ص268. أبو أحمد بن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ-1997م)، ط1، ج1: ص9. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م)، ط3، جامع أبواب من تجوز شهادته، باب الرجل من أهل الفقه يسأل، ج 10: ص353، حديث رقم (20911). محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م)، ط3، كتاب العلم، ج1: ص82، رقم (248).

9 يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، (القاهرة: دار الشروق، 2002م)، ط2، ص: 40-43.

عند ذلك ستكون النتيجة الحتمية هي تحريف معاني القرآن، وتأويلها على غير مراد الله، الأمر الذي يترتب عليه إنكار بعض الأحكام الشرعية التي جاءت بها الآيات القرآنية وبينتها السنة النبوية. يقول الشاطبي: "إن الإقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم، خارجين عن السنة، إذ عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء، فاطرحوا أحكام السنة، فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله"<sup>10</sup>. وحول هذا المعنى أيضاً يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "إن الذين يثيرون الغبار حول السنة فريقان: فريق ظهر مروق من الدين مروق السهم من الرمية ... ذلك أن هؤلاء لا يكتفون بإنكار حجية السنة، بل يفسرون القرآن بأهوائهم... ويضربون الكتاب بعضه ببعض، فينكرون حكم آيات الموارِيث، وحكم آيات الصدقات، بل ينكرون بعض الصلوات، وهكذا كان علمهم إنكاراً، وتفكيرهم ضلالاً"<sup>11</sup>.

علم الحديث إذاً يحمي التفسير القرآني من الانجرار وراء الأهواء والأباطيل، خاصة وأن بعض الآيات القرآنية لا يتضح معناها إلا من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، ومن أمثلة ذلك:

(1) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطَّلِعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا» ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ<sup>12</sup>. وفي رواية: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطَّلِعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ حِينَ: {لَا

---

10 إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، 1417هـ/1997م)، ط1، ج4: ص326.

11 نقلاً عن: محمد بن لطف الصباغ، الحديث النبوي، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1411هـ)، ط6، ص: 25. من مقال له في مجلة "حضارة الإسلام" الدمشقية، العدد(5) السنة 8، ص: 25. وانظر: المؤلف: محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، السنة في مواجهة الأباطيل، (مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية: 1402هـ، ربيع الأول، العدد 12).

12 رواه البخاري. انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، 1422هـ)، ط1، كتاب تفسير القرآن، باب ((لا ينفع نفس إيمانها))، ج6: ص58، رقم (4635).

يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ<sup>13</sup>14. فهذا الحديث الشريف بين لنا أنَّ المقصود بـ {بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} هو طلوع الشمس من مغربها، وليس أي آية أخرى من آيات الله تعالى، وهي الآية التي إذا ظهرت لا تُقبل بعدها توبة.

(2) عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيَّيْ كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟"، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ» قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»<sup>15</sup>. وهذا الحديث الشريف بين لنا أنَّ أعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة، وأنها هي السبع المثاني التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ))<sup>16</sup>.

### ثالثاً: دور علم الحديث في تنقية التفسير من الإسرائيليات

لفظ الإسرائيليات يدل على الأخبار والقصص اليهودية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي، ويعم هذا اللون أيضاً المرويات النصرانية التي دخلت كتب التفسير، ويطلق على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني؛ لأن ما جاء عن اليهود هو الذي اشتهر أمره وكثر النقل عنه، وكلتا الثقافتين اليهودية والنصرانية كان لها أثر على كتب التفسير والثقافة الإسلامية<sup>17</sup>.

13 الأنعام : 158

14 البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ((لا ينفع نفس إيمانها))، ج:6، ص:58، رقم (4634).

15 البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، ج:6، ص:187، رقم (5006)

16 الحجر : 87

17 الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة)، ج:1، ص:121.

وفي كتب التفسير من هذه الإسرائيليات طامات وظلمات، والكثير منها لم ينهه ناقلوه على أصله، ولم يوقف على قائله، فكانت مثارا للشك والظن، والنقول على الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم. والأمثلة على الروايات السقيمة التي حُشيت بها كتب التفسير كثيرة، لا يكاد يخلو منها تفسير من هذه التفاسير. فمن غريب هذه الإسرائيليات وعجيبها، ما نقرأه في كثير من كتب التفسير عند النظر في بعض آيات سورة "ص" حول قصة داود وسليمان عليهما السلام<sup>18</sup>، مما يترفع القلم عن تدوينه.

"ولو أن هذه الإسرائيليات ولا سيما المكذوب والباطل منها وقف بها عند قائلها، لكان الأمر محتملاً بعض الشيء، ولكن الشناعة وكبر الإثم: أن بعض الزنادقة، والوضاعين وضعفاء الإيمان، قد رفعوا هذه الإسرائيليات إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم ونسبوا إليه صراحة، وهنا يكون الضرر الفاحش والجناية الكبرى على الإسلام والتجني الآثم على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن نسبة الغلط، أو الخطأ أو الكذب إلى الراوي أيا كان أهون بكثير من نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وإن ما اشتملت عليه بعض الإسرائيليات من الخرافات، والأباطيل ليصد أي إنسان -مهما بلغ من التسامح في هذا العصر الذي نعيش فيه - عن الدخول في الإسلام، ويحمله على أن ينظر إليه نظرة الشك والارتياب. ولهذا: ركز المبشرون والمستشرقون<sup>19</sup> طعونهم في الإسلام ونبيه على مثل هذه الإسرائيليات والموضوعات"<sup>20</sup>.

ولعلنا نستنتج من ذلك أن الإسرائيليات من أشد الأمور خطراً على العلوم الإسلامية عامة وعلى علم التفسير خاصة، حيث كانت من أهم الأسباب التي أثرت في ضعف التفسير، وشوهت جماله، وكدّرت

---

18 للوقوف على هذه الروايات، انظر: تفسير الآيات 21- 25 والآية 34 من سورة ص، عند الطبري وابن كثير وغيرهما. علماً بأن الطبري مشى على قاعدة من أسند لك فقد أحالك أو حملك، وابن كثير قد صرح في ردها إذ قال: (قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم . صلى الله عليه وسلم . حديث يجب اتباعه).

19 انظر: جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ترجمة: محمد موسى وآخرين، (دار الكتب الحديثة)، مصر.

20 محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (مكتبة السنة)، ط4، ص93.

صفاءه، بما تحمل من خرافات وأباطيل راجت بضاعتها بين اليهود والنصارى، ثم أرادوا ترويجها بين المسلمين. وكان لهذه الروايات دور في صرف التفسير عن وظيفته السامية، التي تُعنى بهداية الناس، وتبصيرهم بكتاب ربهم.

وهنا يأتي دور علم الحديث في تنقية التفسير من الإسرائيلية، لأنه العلم الذي تصدى لتنقية التراث الإسلامي وغربلته من التحريف "وقام المحدثون بجهد غير مسبوق عبر العصور<sup>21</sup> لتقنين الروايات وبيان سقيمها وصحيحها وبهذا كان لهم فضل على سائر العلوم المتعلقة بالشريعة، حيث بينوا للمفسرين ما صح من روايات التفسير المنسوبة للنبي عليه الصلاة والسلام وللصحابه وللتابعين، بل وقاموا بغربلة الأسانيد المؤدية لأشهر مفسري الصحابة والتابعين، زيادة في الاحتياط وحماية لعلم التفسير من الإسرائيلية"<sup>22</sup>.

وللوقوف على دور علم الحديث في هذا المجال، يكفي أن نعرض لنموذج واحد من علماء الحديث ودوره في التصدي للإسرائيليات، وهو الإمام ابن كثير الذي تميز في تفسيره بإخضاعه للإسرائيليات التي أورد بعضها للنقد والتمحيص، وقام بتشريحها سنداً وامتناً، ونبه عليها وحذر منها على وجه الإجمال تارة وعلى وجه التفصيل تارة أخرى. ومن الأمثلة على ذلك:

(1) عند تفسيره لقوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً))<sup>23</sup>. أورد القصة التي وردت في معظم كتب

التفسير<sup>24</sup> عن بحث بنى إسرائيل عن هذه البقرة، حتى وجدوها عند رجل منهم كان باراً بأبيه، فجزاه الله عن ذلك بأن اشتروا منه البقرة بوزنها من الذهب. فيقول ابن كثير معلقاً على هذه الرواية: "وهذه السياقات كلها

---

21 استعمال كلمة (عبر) هنا غير دقيق، والأولى أن يقال: على مَرِّ العصور.

22 محمد جاد الزعبي، الإمام بن كثير وموقفه من الإسرائيلية، بحث منشور على النت على موقع مجلة أقلام الثقافية <http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t=31952>

23 البقرة: 67

24 انظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ)، ط1، ج1: ص116-117.

عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم، فيها اختلاف ما، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا نصدق ولا نكذب، فهذا لا نعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا، والله أعلم<sup>25</sup>.

(2) عند تفسيره لأول سورة (ق). قال: "وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ق، جبل محيط بجميع الأرض، يقال له جبل قاف. وكان هذا -والله أعلم- من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب. وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم. كما افتري في هذه الأمة -مع جلاله قدر علمائها وحفاظها وأئمتها- أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما بالعهد من قدم. فكيف بأمة بني إسرائيل، مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته"<sup>26</sup>.

(3) عند تفسيره لقوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ))<sup>27</sup>. يقول: "نكر المفسرون هاهنا آثارا وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها، ثم نتبع ذلك بيان الصحيح في ذلك، إن شاء الله وبه الثقة.

قال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن سمرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ولما ولدت حواء طاف بها إبليس -وكان لا يعيش لها ولد - فقال: سميه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره". وهكذا

25 ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج:1 ص298.

26 المرجع السابق، ج:1 ص 32.

27 الأعراف: 189

رواه ابن جرير، عن محمد بن بشار، بندار، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، به. ورواه الترمذي في تفسيره هذه الآية عن محمد بن المثني، عن عبد الصمد، به وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبد الصمد، ولم يرفعه. ورواه الحاكم في مستدرکه، من حديث عبد الصمد مرفوعاً ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره، عن أبي زرعة الرازي، عن هلال بن فياض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعاً. وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعاً.

قلت: "وشاذ" هذا، هو: هلال، وشاذ لقبه. والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه: أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به. ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعاً فإله أعلم. الثاني: أنه قد روي من قول سمرة نفسه، ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر، عن أبيه. وحدثنا ابن علية عن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب، قال: سمى آدم ابنه "عبد الحارث". الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً، لما عدل عنه. قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: {جعلنا له شركاء فيما آتاهما} قال: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم. حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال: قال الحسن: عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده -يعني: [قوله] {جعلنا له شركاء فيما آتاهما}. وحدثنا بشر حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً، فهودوا ونصروا.

وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن، رحمه الله، أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما عدل عنه هو

ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن منبه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم<sup>28</sup>.

ولعل هذا المثال الأخير يدل على مصداقية الوصف الذي أطلقه أبو شهبه على الإمام ابن كثير من أنه فارس الحلبة في مجال نقد المرويات نقداً علمياً أصيلاً، على مناهج المحدثين وطريقتهم في نقد الرواة، وبيان أصل هذه المرويات، وأن مرجعها إلى الإسرائيليات<sup>29</sup>.

#### رابعاً: دور علم الحديث في معرفة أسباب نزول القرآن

حفظ الله تعالى كتابه العزيز كما وعد (( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ))<sup>30</sup>. حفظه لفظاً ومعنى ورسماً، وطريقة نطق، وتاريخ نزول. فقد عرفنا أنّ قسماً كبيراً من القرآن نزل حسب الحوادث والوقائع، والذي وثق ذلك كله هو علم الحديث، وأهل العلم يعرفون ما لمعرفة أسباب النزول من فوائد: من توضيح لمعنى الآية أو الآيات ومعرفة من نزلت فيه، ومعرفة الحكمة التي شرع الحكم من أجلها، وغير ذلك من الفوائد. قال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العم بالمسبب"<sup>31</sup>. ومن الأمثلة التي تبين أهميته معرفة سبب النزول في توضيح المعنى وإزالة الإشكال:

---

28 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3: ص 525-527.

29 أبو شهبه، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص 211.

30 الحجر : 9

31 أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م)، ج13: ص339.

(1) روى البخاري عن عروة قال: "سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا} <sup>32</sup>، فَوَاللَّهِ مَا عَلَيَّ أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ، قَالَتْ: بِنَسِّ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوْلَتْهَا عَلَيْهِ، كَانَتْ: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الْأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمُوا يُهْلُونَ لِمَنَاءِ الطَّاغِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الْمُشَلِّلِ، فَكَانَ مَنْ أَهَلَ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ، فَلَمَّا أَسَلِمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} <sup>33</sup>. الْآيَةَ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا» <sup>34</sup>.

(2) قال تعالى: ((وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَانَّم وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) <sup>35</sup>. المتبادر من مدلول ألفاظ الآية ومن ظاهر سياقها أن المصلي له أن يصلي إلى أية جهة كانت، فأينما يولي المصلي وجهه فقد توجه إلى الله تعالى، وهذا خلاف الإجماع وهو يتعارض مع قوله تعالى: ((قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)) <sup>36</sup>. وبالتعرّف على سبب النزول يتّضح أنّ المعنى يختلف، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: خرج رهط في سفر من أصحاب رسول الله ﷺ فأصابهم الضباب، فمنهم من صلى إلى المشرق، ومنهم من صلى إلى المغرب، فلما طلعت الشمس وذهب الضباب، استبان لهم ذلك، فلما قدموا على رسول الله ﷺ سألوه

32 البقرة : 158

33 البقرة : 158

34 رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الصفا والمروة، ج2: ص157، رقم (1643).

35 البقرة : 115

36 البقرة : 144

عن ذلك فنزلت هذه الآية<sup>37</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته التطوع، حيث ما توجهت به وهو جاء من مكة، ثم قرأ ابن عمر: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ). قال ابن عمر: في هذا نزلت هذه الآية<sup>38</sup>.

يتبين مما سبق أن لعلم الحديث دوراً مهماً في تفسير القرآن الكريم، باعتبار هذا العلم هو الطريق لمعرفة سبب النزول، ذلك أنه لا مجال للعقل في معرفة أسباب النزول، وإنما طريق معرفة ذلك هو الرواية الصحيحة عن شاهدوا نزول القرآن الكريم. يقول الواحدي: "لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطلب"<sup>39</sup>.

---

37 أخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف عن ابن عباس. انظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر)، ج1: ص267. أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، (دون معلومات نشر)، ج1: ص86.

38 رواه مسلم. انظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت، رقم (700).

39 علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ-1991م)، ص5.

## المبحث الثاني

### العلاقة بين القرآن الكريم والسنة النبوية من حيث البيان والتبيين

#### أولاً: السنة النبوية بيانٌ للقرآن الكريم

إن أهم وظائف النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ الرسالة وبيانها، قال الله تعالى في شأن التبليغ: ((يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ))<sup>40</sup>. وقال سبحانه في شأن البيان: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ))<sup>41</sup>، وقد ضمن الله الهداية لمن اتبع رسوله، قال الله تعالى: ((وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا))<sup>42</sup>، وقد أفادت الآية أن عدم طاعته ضلالٌ وانحرافٌ، ويكفي أن نعلم أن الصلاة التي هي عمود الإسلام لا يمكن القيام بها إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد تضمنت السنة بيان معاني القرآن من أوجه:

**الأول:** التأكيد. فقد جاءت كثيرٌ من نصوص السنة مؤكدةً لما في القرآن الكريم، كتلك الأحاديث التي تحض على الصدق والصبر وبر الوالدين والاستقامة والتقوى وغير ذلك، فإن القرآن الكريم أمر بذلك وحض عليه ورغب فيه، فجاءت السنة تأمر بذلك وتحض عليه وترغب فيه.

**الثاني:** بيان مجمل القرآن، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتوضيح المشكل.

- ومن أمثلة بيان المجمل: تلك الأحاديث التي جاء فيها بيان وتفصيل لأحكام الصلاة والزكاة اللتين جاء الأمر بهما مجملاً.

40 المائدة : 57

41 النحل : 44

42 النور : 54

- ومن أمثلة تخصيص العام: ما رواه البخاري عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} <sup>43</sup> شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)" <sup>44</sup>.

- ومن أمثلة تقييد المطلق: قوله تعالى: ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)) <sup>45</sup>، فقد جاء الأمر بالقطع مطلقاً وجاءت السنة وبينت مكان القطع، وأنها اليد اليمنى، ومقدار المال الذي يقطع به السارق. قال صلى الله عليه وسلم: «نُقِطَعُ الْيَدُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا» <sup>46</sup>.

- ومن أمثلة توضيح المشكل: ما رواه مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: لما نزلت: (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) <sup>47</sup> قَالَ لَهُ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وَسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ وَسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ" <sup>48</sup>.

وما تقدم هو فيما يتعلق ببيان السنة النبوية لآيات الأحكام، أما فيما يتعلق بغير آيات الأحكام، فقد بين الشيخ محمد أبو زهو أن بيان السنة للقرآن يقع على ثلاثة أضرب، هي:

---

43 الأنعام : 82

44 رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب ما جاء في المتأولين، ج9: ص18، رقم (6937).

45 المائدة : 38

46 رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب قوله تعالى: "والسارق والسارقة..." ج8: ص160، رقم (6879)

47 البقرة : 187

48 رواه مسلم. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أن الدخول في الصوم يحصل بطولع الفجر، ج2: ص766، رقم (1090)

"الأول: ما يرد موافقا لما في القرآن، فيكون مؤكدا له، ولا يخلو مع ذلك عن شرح وبيان كحديث الخضر

مع موسى عليه السلام في البخاري<sup>49</sup> وغيره، فإنه يوافق القصة المذكورة عنهما في سورة الكهف.

الثاني: ما يرد مورد التوضيح والشرح، ومثاله قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ

اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ:

مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: (وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ"<sup>50</sup>.

الثالث: ما يرد على طريق الاستقلال، ومن أمثله حديث جريج العابد، وحديث الأبرص والأقرع،

والأعمى<sup>51</sup> وحديث الصخرة<sup>52</sup>، فهذه الأحاديث وما في معناها مؤكدة للمقاصد، التي جاء بها القرآن وحكمتها

تنشيط المكلفين وتنبيه الغافلين<sup>53</sup>.

وفيما يتعلق بالروايات الواردة في السنة والتي لها علاقة بالقصص، يقول الدكتور مصطفى السباعي:

"بقي من السنة ما خرج مخرج القصص والأمثال والمواعظ، وهذه منها: ما يكون تفسيراً لما ورد في القرآن

كالأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى: ((وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا))<sup>54</sup>. قال: «دَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَوْزَانِهِمْ»<sup>55</sup>.

49 البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ ج: 1: ص 35، رقم (122).

50 البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، اب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح: 1]- إلى آخر السورة، ج: 4: ص 134، رقم (3339).

51 البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ج: 4: ص 171، رقم (3464).

52 البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا لغيره بغير إِنْه فَرَضِي، ج: 3: ص 79، رقم (2215).

53 أبو زهو، الحديث والحدثون، ص 5345.

54 البقرة : 58

55 رواه الترمذي. انظر: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر

وآخرين، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م)، ط2، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن

سورة البقرة، ج: 5: ص 205، رقم (2956). وقال عنه الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وصححه الألباني.

وفي تفسير قوله تعالى: ((فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ))<sup>56</sup>. قال: «قَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ»<sup>57</sup> وأمثال ذلك. فهو جَارٍ مجرى القصص القرآني في الاعتبار من حيث الترغيب والترهيب فيعود إلى القسم الأول، وذلك كقصة الأقرع والأبرص والأعمى<sup>58</sup>.

ولالإمام الشافعي رحمه الله كلام جميل في بيان علاقة القرآن بالسنة من حيث البيان والتبيين، يقول: «لم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سُنن النبي من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين، والوجهان يجتمعان ويتفرعان: أحدهما: ما أنزل الله فيه نص كتاب، فبيّن رسول الله مثل ما نصّ الكتاب. والآخر: مما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبيّن عن الله معنى ما أراد؛ وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما. والوجه الثالث: ما سنّ رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب. فمنهم من قال: جعل الله له، بما افترض من طاعته، وسبق في علمه من توفيقه لرضاه، أن يسنّ فيما ليس فيه نص كتاب. ومنهم من قال: لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب، كما كانت سنّته لتبيين عدد الصلاة وعملها، على أصل جملة فرض الصلاة، وكذلك ما سنّ من البيوع وغيرها من الشرائع، لأن الله قال: ((لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ))<sup>59</sup>، وقال: ((وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا))<sup>60</sup>، فما أحلّ وحرّم وإنما بيّن فيه عن الله، كما بيّن الصلاة. ومنهم من قال: بل جاءته به رسالة الله، فأثبتت سنّته.

---

56 القرّة : 59

57 رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ج 4: ص156، رقم (3403).

58 مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، (دار الوراق - المكتب الإسلامي، 2000م)، ص392.

59 النساء : 29

60 البقرة : 275

ومنهم من قال: أُلْقِيَ في رُوعه كلُّ ما سنَّ، وسنَّته الحكمة: الذي أُلْقِيَ في رُوعه عن الله، فكان ما أُلْقِيَ في رُوعه سنَّته<sup>61</sup>.

والوجه الثالث الذي ذكره الإمام الشافعي هو ما سيأتي الكلام فيه.

### ثانياً: القرآن الكريم بيانٌ للسنة النبوية

بين الله تعالى أن القرآن الكريم تبيانٌ لكل شيء ((ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين))<sup>62</sup>، وقد ذكر الإمام الشافعي أن من العلماء من ذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم ما سنَّ سنةً إلا ولها أصلٌ في كتاب الله تعالى<sup>63</sup>. وقد اختلف العلماء في بيان ذلك على خمسة طرق<sup>64</sup>:

الأولى: أن القرآن الكريم أمر باتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكل من عمل بالسنة فقد عمل بالقرآن، وهذه طريقة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. روى البخاري عن عبد الله، قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَقَلِّبَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ» فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتَ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ

---

61 أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، (مصر: مكتبة الحلبي، 1358هـ/1940م)، ط1، ص90.

62 النحل : 89

63 الشافعي، الرسالة، ص 90.

64 انظر: السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص386-392. أبو زهو، الحديث والمحدثون، ص 40-45.

فَأَنْتَهُوَا))<sup>65</sup>. قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَأَذْهَبِي فَأَنْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا<sup>66</sup>67.

الثانية: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ اشْتَمَلَ عَلَى أَوْامِرٍ وَنَوَاهٍ وَتَوْجِيهَاتٍ مُجْمَلَةٍ، فَجَاءَتِ السَّنَةُ تَفْصِلُ ذَلِكَ وَتَبَيِّنُهُ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَمْثَلَةٌ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ بَيَانِ السَّنَةِ لِلْقُرْآنِ.

الثالثة: "وهي النظر إلى المعاني الكلية التي يقصدها التشريع القرآني في مختلف نصوصه، وأن ما في السُّنَّةِ مِنْ أَحْكَامٍ لَا يَعْذُو هَذِهِ الْمَقَاصِدَ وَالْمَعَانِي. وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ بِتَحْقِيقِ السَّعَادَةِ لِلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى، وَجَمَاعِ السَّعَادَةِ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ. الضَّرُورِيَّاتِ: وَهِيَ حِفْظُ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ وَالْعَقْلِ. الْحَاجِيَّاتِ: وَهِيَ كُلُّ مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّوَسُّعِ وَرَفْعِ الضِّيقِ وَالْحَرَجِ كِبَاحَةِ الْفَطْرِ فِي السَّفَرِ أَوْ الْمَرَضِ. التَّحْسِينِيَّاتِ: وَهِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْعَادَاتِ.

هذه الأمور الثلاثة ومكملاتها قد جاء بها القرآن الكريم أصولاً يندرج تحتها كل ما في القرآن من أحكام، وقد جاءت بها السُّنَّةُ تَفْرِيحاً عَنِ الْكِتَابِ وَتَفْصِيلاً لِمَا وَرَدَ فِيهِ مِنْهَا. فَجَمِيعُ نُصُوصِ السُّنَّةِ تَرْجِعُ بِالتَّحْلِيلِ إِلَى هَذِهِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ"<sup>68</sup>.

الرابعة: "أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ يَنْصُ عَلَى حُكْمَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ وَيَكُونُ هُنَاكَ مَا فِيهِ شَبَهٌ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَتَأْتِي السُّنَّةُ وَتَلْحَقُهُ بِأَحَدِهِمَا أَوْ تَعْطِيهِ حُكْمًا خَاصًّا يَنْاسِبُ الشَّبَهَيْنِ، وَقَدْ يَنْصُ الْقُرْآنُ عَلَى حُكْمٍ بِشَيْءٍ لِعِلَّةٍ فِيهِ فَيَلْحَقُ بِهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا وَجَدَتْ فِيهِ الْعِلَّةُ، عَنِ طَرِيقِ الْقِيَاسِ"<sup>69</sup>.

65 الحشر : 7

66 ما جامعتهما: ما اجتمعت معها، أي فارقتها.

67 البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ (لَوْ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)، ج:6، ص:146، رقم (4886).

68 السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص:338.

69 المرجع السابق

ومثال الحكمين المتقابلين: "حَرَّمَ اللهُ المَيْتَةَ وَأَبَاحَ المَذْكَاءَ، فَدارَ الجَنِينِ الخَارِجِ مِن بطنِ المَذْكَاءِ مَيْتاً بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ فَاحْتَمَلَهُمَا، فَقَالَ عَلِيهِ السَّلَامُ فِي الحَدِيثِ: «ذَكَاءُ الجَنِينِ ذَكَاءُ أُمِّهِ»<sup>70</sup>. تَرْجِيحاً لِجانِبِ الجَزِيئَةِ عَلَي جانِبِ الاستِقْلالِ"<sup>71</sup>.

ومثال ما أعطي حكماً خاصاً بين شبهين: أن الله جعل "النفس بالنفس، وأقصى من الأطراف بعضها من بعض، أما في الخطأ: ففي القتل الدية، وفي الأطراف دية بيئتها السنة، فأشكّل بينهما الجنين إذا أسقطته أمه بضربة من غيرها، فإنه يشبهه جزء الإنسان كسائر الأطراف، ويشبه الإنسان التام لخلقته، فبيئت السنة أن ديته الغرة وأن له حكم نفسه لعدم تمحض أحد الطرفين له. فقد روى الإمام مسلم: أن أبا هريرة، قال: أفتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فقتلتها وما في بطنها، فأختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دية جبينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معهم، فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله، كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما هذا من إخوان الكهان»، من أجل سجع الذي سجع<sup>72</sup>.

ومثال ما ألحق عن طريق القياس: أن الله حرم ربا النسب، والعلة فيه الزيادة من غير عوض، فجاءت السنة وألحقت به كل ما فيه زيادة بذلك المعنى وهو ما يسمى ربا الفضل، فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ

---

70 رواه الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الأطعمة، باب ما جاء في نكاة الجنين، ج4: ص72، رقم (1476). وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وصححه الألباني.

71 السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص339.

72 مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب دية الجنين، ووجوب الدية في قتل الخطأ، وشبه العمد على عاقلة الجاني، ج3: ص1309، رقم (1681).

بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمَلْحُ بِالْمَلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَمَنْ زَادَ، أَوْ اسْتَزَادَ، فَقَدْ أَرَبَى، الْأَخِذُ وَالْمُعْطَى فِيهِ سَوَاءٌ<sup>73</sup>.

الخامسة: إرجاع كل ما في السنة من أحكام تفصيلية وجزئيات إلى ما في القرآن.

ومن أمثلة ذلك: "حديث سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ إِذْ وُلِدَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِنِصْفِ شَهْرٍ، فَأَخْبَرَهَا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنْ قَدْ حَلَّتْ<sup>74</sup> فَبَيَّنَ الْحَدِيثَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِوَالِدَيْنِ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾<sup>75</sup> مَخْصُوصٌ فِي غَيْرِ الْحَامِلِ، وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾<sup>76</sup> عَامٌ فِي الْمَطْلَقَاتِ وَغَيْرِهِنَّ"<sup>77</sup>.

قال السباعي: "وهذا النمط في السُّنَّةِ كثير، لكن نصوص القرآن لا تفي بهذا المقصود بحيث تتسع لكل أحكام السُّنَّةِ مع التزام جانب الدقة، وإمكان تحمل النص ذلك حسب البيان العربي والإشارة العربية. قال الشاطبي: (وأول شاهد في هذا الصلاة، والحج، والزكاة، والحيض، والنفاس، واللقطة، والقراض، والمساقاة، والديات، والقسمات، وأشباه ذلك من أمور لا تحصى؛ فالملتزم لهذا لا يفي بما ادعاه إلا أن يتكلف في ذلك مأخذ لا يقبلها كلام العرب ولا يوافق على مثلها السلف الصالح، ولا العلماء الراسخون في العلم)<sup>78</sup>.

---

73 مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا، ج 3: ص 1211، رقم (1584).  
74 روى البخاري عن أبي هريرة قال: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي - يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ - فَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ غُلَامَهُ كُرَيْبًا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ: «قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ وَهِيَ حُبْلَى، فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَخُطِبَتْ فَأَنكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا». صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، ج 6: ص 155، رقم (4909).  
75 البقرة : 234.

76 الطلاق : 4

77 السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص 391 - 392.

78 الشاطبي، الموافقات، ج 4: ص 401.

هذه هي أهم المسالك التي سلكها العلماء للبرهان على احتضان القرآن للسنة وانضوائها تحت رايته. ومنها كما رأيت مسالك عامة لا تدل إلا على أن القرآن دلّ على وجوب العمل بها. ومنها ما لا ينفرد وحده بسلك جميع أحكام السنة في الطريق الذي اختاره. ومنها ما يتسع لذلك. والأولى أن تجعل كلها طُرُقًا يتم بعضها بعضاً، ولا شك أن مجموعها كفيلاً بإرجاع جميع أحكام السنة - حتى التي أتت بأحكام جديدة - إلى نصوص القرآن، وبذلك يتم تفسير قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>79</sup> على أحسن وجه وأدق بيان<sup>80</sup>.

---

79 الأنعام : 38

80 السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص392.

## المبحث الثالث

### معالم منهجية في دور الحديث في التفسير

نحاول في هذا المبحث الوقوف على أهم المعالم المستفادة من علم الحديث، والتي تشكل منهجاً واضحاً في التفسير القرآني، حيث دلت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه المعالم التي تثبت الصلة الوثيقة بين الحديث والتفسير. ومن أهم هذه المعالم:

#### 1. حمل المعنى على الظاهر

الأصل في التفسير القرآني أن تحمل معاني الألفاظ على ظاهرها وعمومها ما لم يمنع من ذلك مانع. قال ابن عاشور: "ولما كان القرآن نازلاً من المحيط علمه بكل شيء، كان ما تسمح تراكيبه الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التراكيب، مظنوناً بأنه مراد لمنزله، ما لم يمنع من ذلك مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو توقيفية"<sup>81</sup>. واستدل ابن عاشور لصحة هذه القاعدة بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير لبعض الآيات، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد بن المعلى، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَدَعَاهُ، قَالَ: فَصَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، قَالَ: فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُحِبِّبَنِي؟»، قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}<sup>82</sup>، لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ - أَوْ فِي الْقُرْآنِ، شَكَ خَالِدٌ - قَبْلَ أَنْ

---

81 محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ)، ج1: ص94.

82 الأنفال: 24

أُخْرِجَ مِنَ الْمَسْجِدِ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْلُكَ: قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي أُوتِيَتْ، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»<sup>83</sup>.

"فلا شك أن المعنى المسوقة فيه الآية هو الاستجابة بمعنى الامتثال، كقوله تعالى: ((الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ))<sup>84</sup>، وأن المراد من الدعوة الهداية كقوله: ((يدعون إلى الخير))<sup>85</sup>، وقد تعلق فعل (دعاكم) بقوله (لما يحييكم) أي لما فيه صلاحكم، غير أن لفظ الاستجابة لما كان صالحاً للحمل على المعنى الحقيقي أيضاً، وهو إجابة النداء، حمل النبي صلى الله عليه وسلم الآية على ذلك في المقام الصالح له، بقطع النظر عن المتعلق"<sup>86</sup>.

## 2. الجمع بين النصوص

القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، ومما يمكن أن يستدل به على ذلك، ما رواه البخاري أن عائشة، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم: كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾<sup>87</sup> قَالَتْ: فَقَالَ: " إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ"<sup>88</sup>.

والظاهر أن النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى قوله تعالى في سورة الحاقة: ((يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ \* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَه \* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه))<sup>89</sup>.

---

83 البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، ج 6: ص187، رقم (5006)

84 آل عمران : 172

85 آل عمران : 104

86 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1: ص95

87 الانشقاق : 8

88 البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، ج1: ص32، رقم (103).

89 الحاقة : 18 - 20.

### 3. الرجوع إلى اللغة العربية

روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر، فذكر أبو بكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "أما إنهم سيهزمون"، فذكر ذلك أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، فجعل بينهم أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "ألا جعلته"، أراه قال: "دون العشر؟"، قال: وقال سعيد: البضع ما دون العشر، قال: فظهرت الروم بعد ذلك، فذلك قوله تعالى {غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ}<sup>90</sup> قال: فغلبت الروم ثم غلبت بعد، قال: {لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ} قال: يفرح المؤمنون بنصر الله<sup>91</sup>.

### 4. استخدام العلوم الأخرى مثل علم التاريخ وعلم الاجتماع

مما يوضح معنى النص القرآني ويوسع مدلوله، الاستعانة بما وصل إليه البشر من علوم، فإن القرآن كلام من أحاط بكل شيء علماً، فكلما كان دارس القرآن أكثر علماً كان أكثر فهماً له، قال تعالى: ((وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ))<sup>92</sup>. وفي المثال الآتي نجد النبي صلى الله عليه وسلم قد استخدم معلومة تاريخية اجتماعية في رفع الإشكال عن النص القرآني. روى

90 الروم : 1 - 3.

91 رواه أحمد. انظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م)، ط1، ج4: ص491، رقم (2770). وقال المحقق إسناده صحيح على شرط الشيخين.

92 سبأ : 6

الإمام مسلم عن الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ يَا أُخْتَ هَارُونَ، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ»<sup>93</sup>.

---

93 مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّكْنِي بِأَبِي الْقَاسِمِ وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ، ج:3: ص1685.  
رقم (2135)

## خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات الذي أعان على إتمام هذا البحث الوجيز والذي اشتمل على

معلومات ونتائج أحسب أنها قيمة، وفيما يأتي أهم هذه النتائج:

1. علم الحديث أصل في العلوم الشرعية كلها، لأنها تعتمد عليه ولا تنفك عنه.
2. يشكل علم الحديث حصناً منيعاً يحول دون تسرب الروايات الضعيفة والمدسوسة إلى التفسير القرآني، الأمر الذي يسهم في تنقية التفسير مما شابه من الدخيل، ليعود إليه جماله وبهاؤه.
3. الارتباط بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وثيقٌ جداً، وهو أشبه بالارتباط العضوي داخل الجسد الواحد.
4. النتيجة الحتمية للفصل بين القرآن الكريم والسنة النبوية هي فتح أبواب الضلالة والزندقة والعبث في معاني القرآن الكريم.
5. إن حجم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير آيات القرآن الكريم هو كمّ مباركٌ كافٍ لمن استرشد به في معرفة معاني القرآن، بحيث يضمن لدارس القرآن أن يبقى على الجادة بعيداً عن الزيغ والضلال.
6. أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى معالم منهجية هادية في تفسير القرآن الكريم. يعدّ الاسترشاد بها ضماناً للفهم الصحيح للنص القرآني.
7. كما أن السنة بيانٌ للقرآن، فإن القرآن بيانٌ للسنة من طرقٍ متعددة، ولعل هذه العلاقة بين السنة والقرآن هي أحد وجوه المعجزة الإسلامية في القرآن والسنة.

## قائمة المراجع

1. الأَجْرِيُّ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، الشريعة، تحقيق: عبد الله الدميجي، (الرياض: دار الوطن، 1420هـ-1999م)، ط2.
2. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م).
3. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ - 1986م)، ط1.
4. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984هـ).
5. ابن عدي، أبو أحمد الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ-1997م)، ط1.
6. ابن كثير، إسماعيل بن عمر دمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة، 1420هـ - 1999م)، ط2.
7. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية).
8. أبو زهو، محمد محمد، الحديث والمحدثون، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ).
9. أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (مكتبة السنة)، ط4.
10. أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م)، ط1.
11. أسد، محمد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، (بيروت: دار العلم للملايين)، ط1.
12. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي).
13. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، 1422هـ)، ط1.
14. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م)، ط3.

15. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م)، ط3.
16. الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ - 1975م)، ط2.
17. جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، ترجمة: محمد موسى وآخرين، (دار الكتب الحديثة)، مصر.
18. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة).
19. رسول، محمد طاهر بن حكيم غلام، السنة في مواجهة الأباطيل، (مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية: 1402هـ، ربيع الأول، العدد 12).
20. الزعبي، محمد جاد، الإمام ابن كثير وموقفه من الإسرائيليات، بحث منشور على النت على موقع مجلة أقلام الثقافية <http://www.aklaam.net/forum/showthread.php?t=31952>
21. السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع، (دار الوراق - المكتب الإسلامي، 2000م).
22. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، (دون معلومات نشر).
23. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، (بيروت: دار الفكر).
24. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م)، ط1.
25. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، (مصر: مكتبة الحلبي، 1358هـ/ 1940م)، ط1.
26. الشربيني، عماد السيد محمد إسماعيل، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، (1422هـ - 2002م)، ط1.
27. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ)، ط1.
28. الصباغ، محمد بن لطفي، الحديث النبوي، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1411هـ)، ط6. من مقال له في مجلة "حضارة الإسلام" الدمشقية، العدد (5) السنة 8.
29. القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع السنة النبوية، (القاهرة: دار الشروق، 2002م)، ط2.
30. مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
31. الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1991م).